

أضواء البيان

@ 506 ، فقد قسمت هذه الآيات الأمة كلها أمة الدعوة إلى قسمين . .

أما التذكير والإنذار ، إذ قال تعالى : { فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى } ، فهذا موقف النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء تقسيم الأمة إلى القسمين الآيتين : { سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى } : فينتفع بالذكرى وتنفعه ، { وَيَتَذَكَّرُهَا لِكَلِمَةٍ يُحْذَرُ } ، فلا تنفعه ولا ينتفع بها ، ثم جاء الحكم بالفلاح : { فَادْعُ أَفْوَاجًا مَن تَزَكَّى } ، أي من يخشى { وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } ، ولم يغفل عن ذكر الله تعالى ، وهذا الموقف بنفسه هو المفصل في سورة الحديد ، وفي معرض التوجيه لنا والتوبيخ للأمم الماضية أيضاً { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ } ولا يكفونوا كالكافرين { أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون } . .

فقسوة القلب وطول الأمد والتسوية : هي العوامل الأساسية للغفلة وإيثار الدنيا . والخشية والذكر : هي العوامل الأساسية لإيثار الآخرة ثم عرض الدنيا في حقيقتها بقوله : { أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَتَفَافُتُ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ وَتَكَاثُرُ فِيهَا الْأَسْمَاءُ وَالْأَسْمَاءُ كَمَا تَثَلَّى غَيْثٌ } إلى قوله { وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } . .

فوصف الداء والدواء معاً في هذا السياق . فالداء : هو الغرور ، والدواء : هو المسابقة إلى مغفرة من الله ورضوانه . .

وقوله : { إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى } ، قيل : اسم الإشارة راجع إلى السورة ، كلها لتضمنها معنى التوحيد والمعاد والذكر والعبادات ، والصحف الأولى : هي صحف إبراهيم وموسى ، على أنها بدل من الأولى . .

وجاء عند القرطبي : أن صحف إبراهيم كانت أمثالا ، وصحف موسى كانت مواظ ، وذكر نماذج لها . .

وعند الفخر الرازي من رواية أبي زر رضي الله عنه ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم (كم أنزل الله من كتاب ؟ فقال : مائة وأربعة كتب على آدم عشر صحف ، وعلى شئث خمسين صحيفة : وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان) .